العمارة العربية الاسلامية

م. علي سعد عبد الوهاب

المحاضرة الثامنة

جامعة المثنى

كلية الهندسة

قسم هندسة العمارة

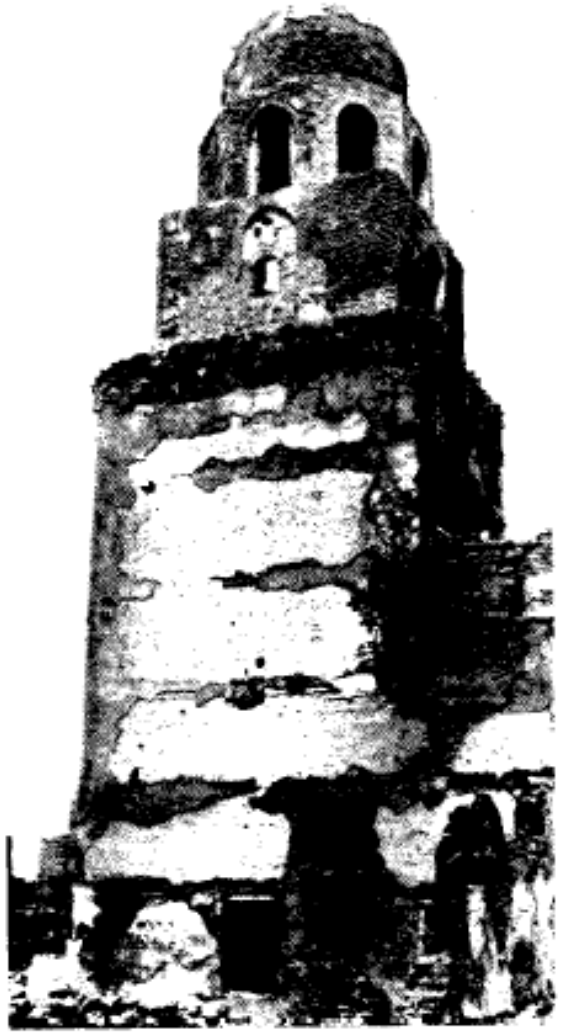

كريسول

ش : ١٦٨ ــ مصر ، مئذنة رباط الجيوشي

كريسول

ش : ١٦٩ ــ مصر ، مئذنة
جامع أبي الغضنفر

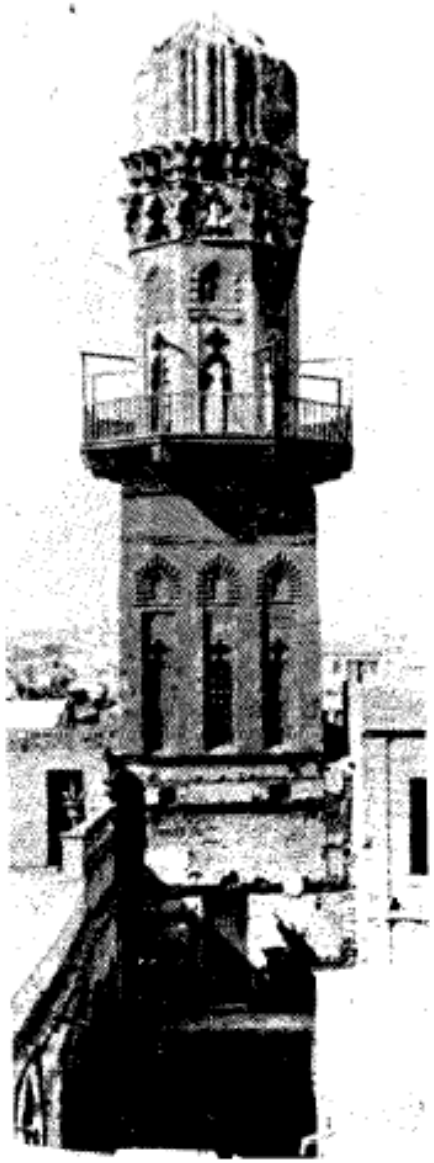

كريسول

ش : ١٧٠ ــ مصر ، مئذنة المدرسة الصالحية

ومما هو جدير بالذكر ، أن معظم تلك المآذن قد شيدت بالآجر وتفنن المصممون في عمل تكوينات زخرفية بتلك المادة من عقود صغيرة وكبيرة متشابكة ومتقاطعة إلى غير ذلك من أنواع الحشوات وحول الفتحات ، ولم يستعينوا بالفسيفساء أو البلاطات الخزفية أو غيرها من أنواع الكسوات الخارجية كما حدث في المآذن في الشرق الإسلامي وبخاصة في العراق وفارس في الفترات المعاصرة كما سيأتي ذكره .

* * *

ويمتد أثر التكوين المعماري لمئذنة جامع القيروان شرقاً نحو مصر بوجه خاص ، غير أنه لا يتضح في أقدم مئذنتين بقيتا من العصر الفاطمي وتؤرخان في سنة ٣٩٣ هـ (١٠٠٤ م) ، وشيدتا لجامع الحاكم بأمر الله (ش : ٧٨) في ناصيتي الواجهة الأمامية التي بها المدخل الرئيسي . ولعل فكرة بنائهما في تلكما الناصيتين قد جاءت من جامع المهدية في تونس[٣٢] . غير أنه بسبب اختلاف تصميمهما فالشمالية ذات بدن أسطواني عالٍ وضع فوق قاعدة مربعة قصيرة بينما الغربية ذات بدن مربع المقطع تعلوه طباق متضائلة مثمنة المقطع ، وبسبب هذا الاختلاف فقد وضعت كل داخل غلاف أخفى النصف الأسفل منها . ثم حدث زلزال عنيف في أوائل القرن ٨ هـ (١٤ م) أطاح بنهايتيهما العلويتين[٣٣] ، ومن ثم أضيف غلافان أعلى السابقين أخفيا ما كان ظاهراً

منهما ، ووضع فوق الغلافين الجديدين نهايتان على الأسلوب الذي كان سائداً في ذلك الوقت ، وهو نموذج المبخرة الذي بدأ ظهوره في أواخر العصر الفاطمي واستمر طوال العصر الأيوبي وحتى العصر المملوكي الثاني .

ويتضح تأثير التصميم المعماري لمئذنة جامع القيروان في مئذنة رباط الجيوش الذي شيد على شفا هضبة من جبل المقطم تشرف على قلعة الجبل وعلى منطقة واسعة من وسط مدينة القاهرة العاصمة وعلى القاهرة القلعة الفاطمية من جهة الشمال وعلى مدينة الفسطاط وما في جنوبها وحتى الجيزة . وتعد تلك المئذنة أقدم مثل متكامل من مآذن مصر ، وتؤرخ في الربع الأخير من القرن ٥ هـ (١١ م) ، أي في منتصف العصر الفاطمي .

وعلى الرغم من أن المئذنة تبدأ من سطح المبنى (ش : ١٦٨) إلا أن تكوينها المعماري يشبه تصميم مئذنة جامع القيروان (ش : ١٦٣) ، وذلك من حيث البدن المربع المرتفع والذي يعلوه جوسق مربع مشطوف النواصي ويقل عرضه عن عرض البدن تاركاً شرفة يحمل سياجها صفان من المقرنصات ، ثم تغطي الجوسق قبيبة مدببة القطاع ، وضعت فوق رقبة مثمنة الأضلاع .

وقد أثبتنا في مقال لنا نشر باللغة الإنجليزية أن ذلك المبنى البرجيّ المظهر والذي شيد فوق ذلك الموقع الاستراتيجي لم يقصد به أن يكون مسجداً أو ضريحاً بل ليكون رباطاً للمراقبة

١١ ـ مصر ، مئذنة مدرسة
سنجر الجاولي   كريسول

ش : ١٧٢ ـ مصر ، مئذنة جامع الناصر محمد بالقلعة
شافعي

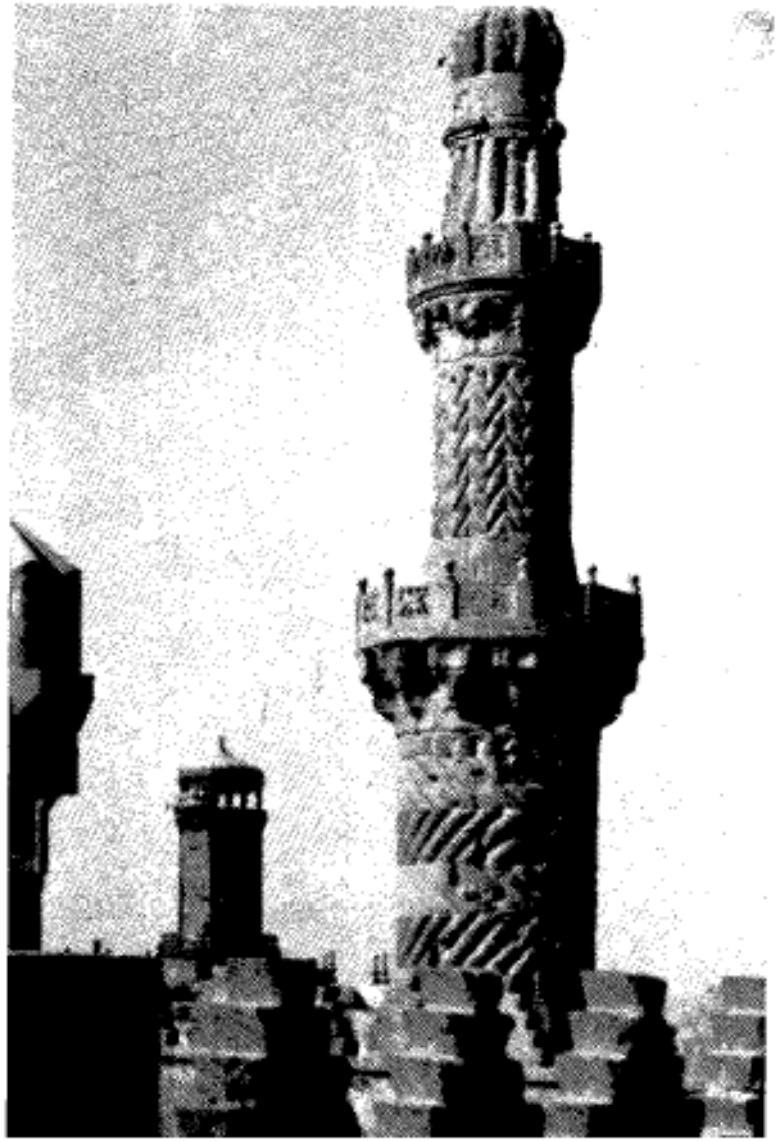

ش : ١٧٣ ـ مصر ، مئذنة جامع ال
يحيى زين الدين بالأزهر   هونيكر

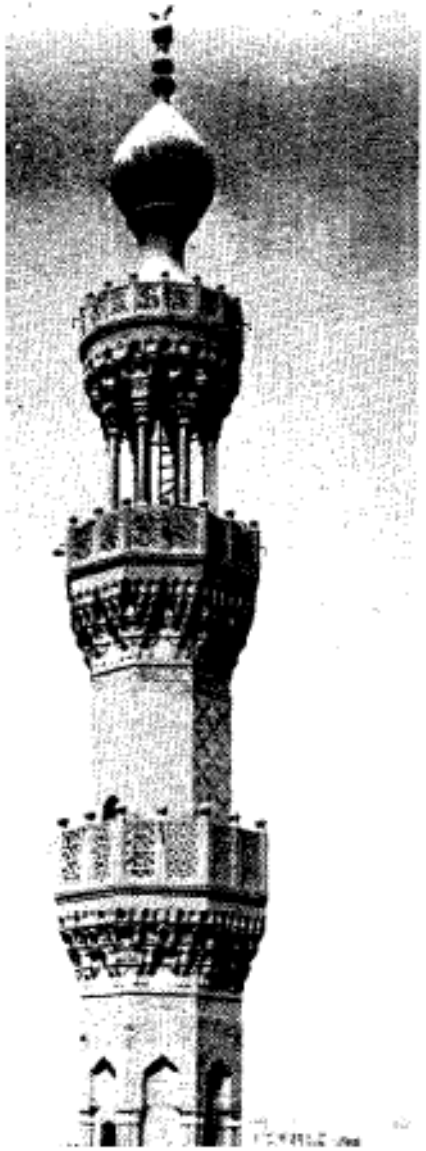

والانذار . وكانت تلك المئذنة تقوم بتلك الوظائف وإرسال الأخبار واستقبالها[٣٤] ، وأنها كانت حلقة من سلسلة من المنارات التي كانت تصل العاصمة مصر وقلعتها القاهرة الفاطمية بالمواقع النائية في أقصى الصعيد ، حيث كانت تقوم بين الحين والآخر فتن وقلاقل من قبائل تسمى بالبجة في منطقة أسوان والنوبة ، وكانت تتمرد على والي الصعيد ومقره مدينة قوص ، فكان يلتمس العون من والي مصر أو الخليفة ، وذلك بواسطة إرسال إشارات طلب العون من مئذنة أو منارة إلى أخرى حتى مئذنة الجيوشي لتوصلها بدورها إلى باب زويلة القريب من موقع الجيوشي[٣٥] .

وما زال حتى اليوم في منطقة الصعيد من الأقصر جنوبي قوص حتى بلاد النوبة مآذن خمسة هي : مئذنة جامع أبي الحجاج في الأقصر ، ومئذنة جامع إسنا ، ومئذنة الطابية بأسوان ، ومئذنة المشهد البحري ، ومئذنة المشهد القبلي ، وكانت تنسب كلها إلى العصر الفاطمي ، ولكن رجحنا أن معظمها ينسب إلى العصر العباسي .

وتهمنا هذه المآذن لأنها تكوّن مجموعة تختلف في مميزاتها المعمارية عن مآذن العاصمة والتي تعد مئذنة الجيوشي أقدمها وسنكمل الحديث عنها بعد قليل .

ومما يدعو إلى الدهشة أن مجموعة مآذن الصعيد تتميز بظواهر أقرب صلة بمآذن العراق وفارس منها بمآذن مصر . ذلك أن مآذن الصعيد تتميز بقاعدة قصيرة مربعة المسقط وكأنها مكعب باستثناء مئذنة جامع أبي الحجاج بالأقصر ومئذنة جامع إسنا اللتين يبلغ فيهما ارتفاع القاعدة نحو نصف الارتفاع الكلي . غير أنها تشترك كلها في استدارة البدن الذي يعلو كلا منها ، وفي وجود انتفاخ برميلي (entasis) سنراه في مآذن العراق وفارس . أما الجواسق العليا فلكل منها شخصيته وتصميمه ، وذلك على الرغم من التقارب بينها في ذلك التصميم .

ويتمثل في مئذنة أبي الغضنفر بالقاهرة (ش : ١٦٩) والتي تؤرخ في ٥٥٣ هـ (١١٥٧ م)[٣٦] مرحلة تامة النضج ، إذ ازدادت نحافة البدن ، وتطور الطابق العلوي إلى جوسق بمعنى الكلمة ، وأصبح ذا ثمانية أضلاع ، بكل منها فتحة باب يتوّجه عقد من حليات . وتعلو الجوسق رقبة مثمنة بكل وجه منها كوة ذات فصوص ثلاثة . وتستقر فوقها قبيبة مدببة القطاع ذات ضلوع متلاصقة . وهي أقدم مثل باق لهذا النموذج الذي عرف بقمة « المبخرة » ، وذلك بسبب شبه القبيبة بغطاء المبخرة .

ومن أجمل أمثلة ذلك النموذج المتكاملة مئذنة مدرسة الصالح نجم الدين أيوب (ش : ١٧٠) وتؤرخ في ٦٤١ هـ (١٢٤٤ م)[٣٧] ثم ازدادت الأناقة والتنوع في التصميم وتعددت الطوابق وصفوف المقرنصات التي تحمل شرفات الأذان والتي تتوج الجواسق العليا . ومن أرشق أمثلتها مئذنة مدرسة سلاروسنجر الجاولي (ش : ١٧١) وشيدت في سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٣ م)[٣٨] .

ومن أمثلة المباخر غير العادية في مصر تلك القمة البصلية لكل من مئذنتي جامع الناصر محمد بقلعة صلاح الدين (ش : ١٧٢) ،

ويؤرخ في ٧٣٥ هـ (١٣٣٥ م) ، واختفت من تحتها صفوف المقرنصات التقليدية واستبدلت برقبة زُيِّنت ببلاطات خزفية ملونة ، وذلك بتأثير من منطقة العراق وفارس ، حيث بدأ الشكل البصلي للقباب والقبيبات في الانتشار . كما يظهر هذا الشكل مرة أخرى في مصر في قبة الضريح المعروف بالقبة السلطانية (ش : ٢٠٨) ، ويؤرخ في القرن ٨ هـ (١٤ م) .

ثم أخذ تطور المآذن يزداد في أواخر العصر المملوكي الأول وأوائل العصر المملوكي الثاني ، فأصبح للمئذنة قاعدة مربعة المسقط قصيرة الارتفاع ، يعلوها بدن مثمن في أغلب الأحيان أو مستدير في حالات قليلة ، وينتهي بصفوف المقرنصات الصغيرة التي تحمل شرفات الأذان ، ثم يأتي الجوسق العلوي الذي تنوعت أشكاله من مثمن إلى مستدير وله جدران مصمتة أو مفرغة إلى غير ذلك من الأشكال . ومن أجمل أمثلتها المئذنتان اللتان وضعتا لجامع المؤيد شيخ فوق برجي باب زويلة ، غير أن القمتين قد اقتبست من النهاية العليا لمئذنة جامع المرداني بعد سقوطهما ، كما يوجد مثل آخر في مئذنة مدرسة وجامع قايتباي في القرافة الشمالية (ش : ١٣٤) .

وتتميز هذه القمم بتصميم جديد فهي على شكل رقبة آنية الشرب المعروفة بالقلة وتوجت بغطاء القلة الذي يشبه شكل الكمثري ، ومن ثم سميت بنموذج القلة .

واستمر ذلك النموذج منتشراً طوال العصر المملوكي الثاني وحتى أوائل العصر العثماني إلى أن حل محله نموذج عرف بالقلم الرصاص لشبهه به .

وتتميز المآذن المصرية سواء كانت من نموذج المبخرة أو من نموذج القلة بأنها أكثر بساطة في زخارف واجهاتها من المآذن في الغرب العربي الإسلامي .

ونضيف إلى ما ذكرناه عن مآذن الشام ومنها المئذنتان المبكرتان في بصرى وقصر الحير الشرقي ثم مآذن الجامع الأموي بدمشق أن أغلب مآذن الشام كانت تغطي شرفات الأذان بها بمظلات من الخشب حماية للمؤذن من الأمطار ، كما سنراه أيضاً في منطقتي العراق وفارس .

وشيدت معظم مآذن الشام على النمط الذي رأيناه من قبل ، أي كانت تتكون من بدن مربع طويل إلى قرب القمة ، ويتميز بنحافة ملحوظة ، واستمر ذلك طوال العصرين الأتابكي والأيوبي ، ولها أمثلة كثيرة ، منها مئذنة المسجد الجامع في حلب (ش : ١٥٨)[٣٩] وتؤرخ في سنة ٤٨٢ هـ (١٠٩٠ م) ، ويستلفت النظر فيها أن في الطابقين في النصف العلوي من البدن إطارات على شكل عقود مفصصة ومتشابكة في الحشوات العلوية ومفصصة فقط في الحشوات السفلى . وهي ظواهر مغربية أندلسية لا شك فيها . ومنها مئذنة المسجد الجامع في معرة النعمان (ش : ١٥٧)[٤٠] وتؤرخ في سنة ٥٧٥ هـ (١١٧٩ م) وتكاد هي ومئذنة جامع حلب تنفردان بوجود القمة العليا المغطاة بقبيبة نصف كروية وليست من نموذج المبخرة الذي كان منتشراً في مصر .

وكذلك تتميز المآذن الشامية في العصرين الأتابكي والأيوبي ببساطة كبيرة في زخرفة واجهات أبدانها حتى تكاد تخلو من أي نوع منها ، فيما عدا ما رأيناه في مئذنة جامع حلب ، أما في العصر المملوكي فقد حظيت الواجهات بعناية أكثر بزخرفتها ، وكانت تكسى أحياناً بالرخام بأشكال هندسية .

وكانت المآذن المملوكية في الشام تمت بصلة القرابة بالمآذن المصرية ، كما يشاهد في المئذنة الجنوبية الغربية للمسجد الأموي بدمشق (ش : ١٦٠) وكان بعض آخر ذا تصميم خاص (ش : ١٦٢) .

* * *

وجدير بالذكر أنه لا يداخلنا شك في أن المئذنتين الجنوبيتين ، الشرقية والغربية ، في مسجد الرسول بالمدينة المنورة هما العنصران الوحيدان الباقيان من العصر المملوكي ، وبخاصة الشرقية (ش : ١٧٤) والتي نعدها من أجمل ومن أندر ومن أقدم العناصر السليمة الباقية من العصور الإسلامية التي تعاقب فيها بناء وتجديد الحرم النبوي الشريف . ذلك أنها تتكون من القاعدة التقليدية العالية والبدن المثمن الذي يعلوها ، ثم البدن الثاني المتعدد الأضلاع ثم الجوسق المستدير المفرغ بفتحات ضيقة بالتبادل مع أسطح مصمتة ، ثم تأتي أخيراً قبيبة عالية على هيئة مبخرة ضخمة يعلوها ما يشبه فانوس مكعب صغير تتوجه قبيبة دقيقة . وكل ذلك وبالإضافة إلى أناقة صفوف المقرنصات فإنها كلها عناصر وتكوينات لا يمكن نسبتها إلا إلى العصر المملوكي ، وهي تشهد لبانيها بالبراعة في التصميم والتنفيذ . أما المئذنة الغربية (ش : ١٧٥) فتكاد تكون طبق الأصل من الشرقية وذلك من سطح المسجد حتى الحافة العليا للبدن المثمن فوق القاعدة المربعة ، أما ما فوق ذلك من كوابيل ومن الشرفة التي تحملها ثم البدن الثاني المستدير والقمة المخروطية الطويلة فكلها في رأينا إضافات حدثت في العصر العثماني بعد أن طاحت الأجزاء الأصلية المملوكية المشابهة لما في المئذنة الشرقية .

* * *

أما في شرق العالم الإسلامي ، أي آسيا الصغرى والعراق وفارس والهند وأفغانستان ، فإننا نجد حلقات تطور المآذن تبدأ بمثلين من العصر العباسي المبكر ما يزالان قائمين هما : مئذنة جامع الرقة (ش : ١٧٦) وتؤرخ في ٥٦١ هـ (١١٦١ م)[٤١] ، ثم مئذنة أو منارة « مجصة » (ش : ١٧٧) وشيدت في حوالي ١٦٠ هـ (٧٧٧ م)[٤٢] ، وتقوم في الصحراء على بعد نحو ٢٥ كيلومتراً إلى الشرق من قصر الأخيضر وعلى الطريق الموصل إليه من الكوفة وبينهما نحو ٩٠ كم ، وشيد في منتصفه خان للاستراحة . وتقوم المنارة في منتصف المسافة بين الخان والقصر مما يدل على أن الغرض منها كان للإرشاد وليس للأذان .

وتكشف هاتان المئذنتان بوضوح عن الاتجاه نحو تصميم المآذن على الشكل الأسطواني في تلك المناطق ويؤكد خطأ نظرية اشتقاق المئذنة من أبراج النواقيس الكنسية ، فإنه على الرغم من كثرة الأديرة والكنائس في العراق فلا يوجد منها مثل واحد له برج مستدير يمكن أن

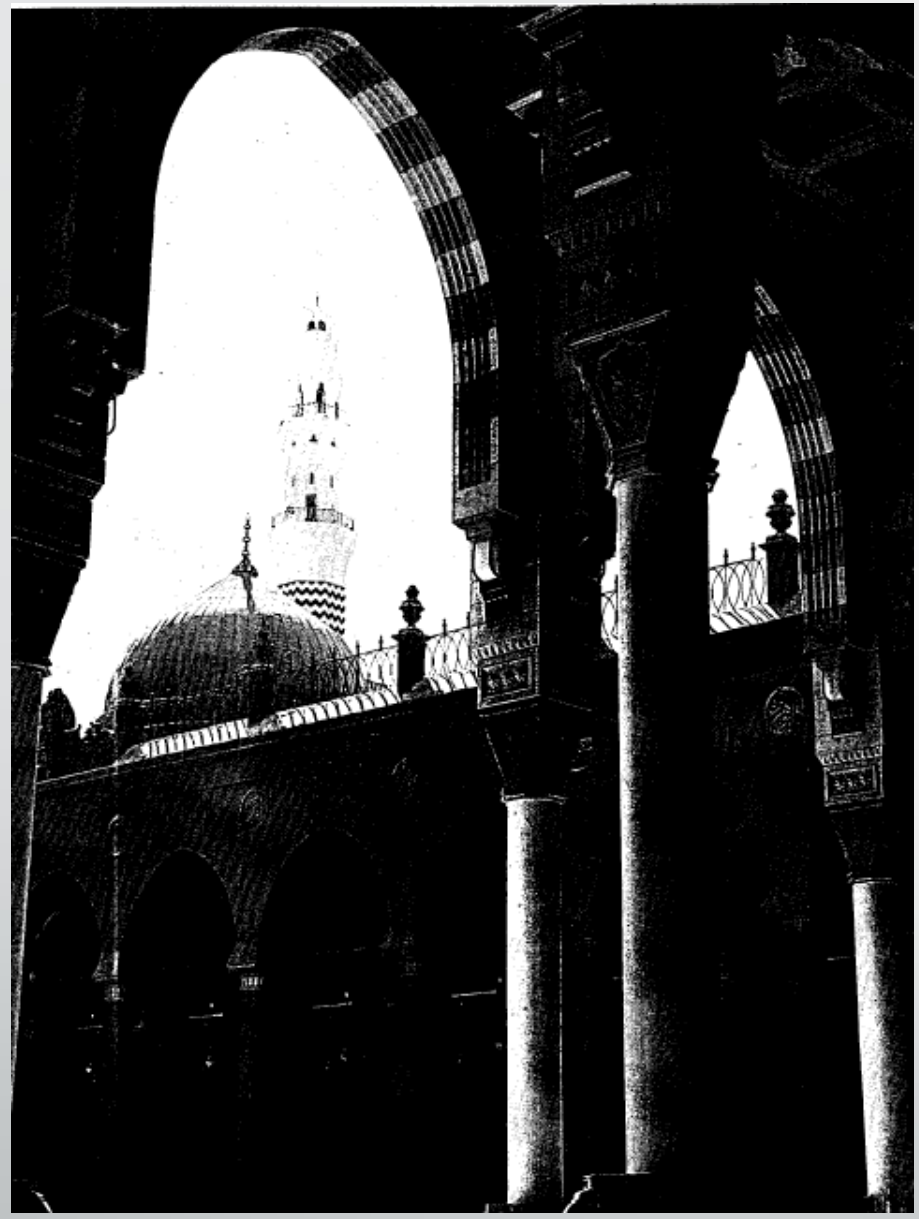

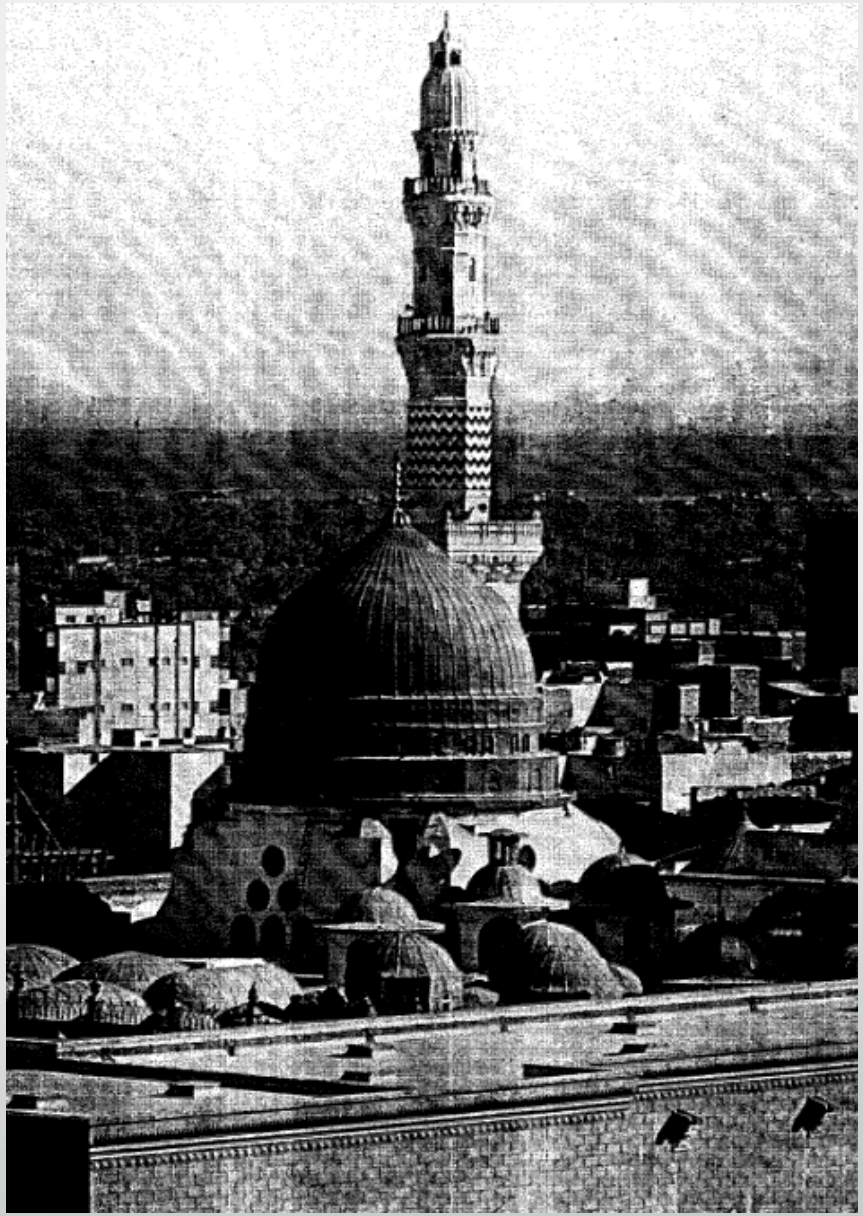

ش : ١٧٥ أ ــ مسجد الرسول بالمدينة المنورة من الداخل

يتخذ مصدراً للإيحاء بشكل المآذن الأسطوانية هناك .

ويبدو أن المعماريين في العراق قد أغرموا بالشكل الأسطواني إلى درجة أنهم اقتبسوه للملويتين السامرائيتين ، للجامع الكبير (ش : ١٧٨ و ١٧٩) ولجامع أبي دلف[٣] ، واللتان تعدان من الأشكال غير المألوفة في العالم كله سواء للمآذن أو الأبراج أو غيرها . كما نرجح أن يكون هو الشكل الذي شيدت عليه المئذنة الأولى لجامع ابن طولون قبل إعادة بنائها على شكلها الحالي (ش : ١٨٠) والذي يكشف عن تأثيرات مختلفة ، منها تأثير الملوية ومنها من الغرب الإسلامي ، ومنها تأثيرات محلية ، وقد أفردنا لتكوينها المعماري بحثاً خاصاً[٤] .

ومن الجدير بالذكر أن مئذنة جامع الرقة قد بقي بدنها الاسطواني سليماً تقريباً حتى شرفة المؤذن وهو يمتاز بجوانبه الرأسية ، وكانت منارة مجصصة على تلك الهيئة أيضاً .

وليس هناك من شك في أن التصميم الأسطواني العراقي كان أساساً شيدت عليه جميع حلقات سلسلة مآذن منطقة فارس وآسيا الصغرى والهند ، غير أنه لم يبق من أمثلتها إلا مثلان من العصر الغزنوي في أفغانستان ، إحداهما منارة محمود بن سبكتكين (ش : ١٨٢) المؤرخة في سنة ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م)[٥] والأخرى مؤرخة في ٥٠٨ هـ (١١١٤ م) وشيدها مسعود الثالث[٦] . وتتشابه المئذنتان في عدد من خصائصها ، فنها الجوانب الرأسية للبدن ذي القطاع الأفقي على شكل نجمة ثمانية الرؤوس ، ومنها التفنن في استعمال الآجر في تكوينات زخرفية وأشرطة من كتابات كوفية . أما القمة المخروطية الفطساء فإن هناك صورة تعود إلى القرن ١٩ م[٧] توضح أن هذا البدن ما هو إلا قاعدة للمئذنة كان يرتفع فوقها بدن مستدير القطاع على النمط المألوف في فارس .

أما بقية السلسلة والتي يعاصر بعضها

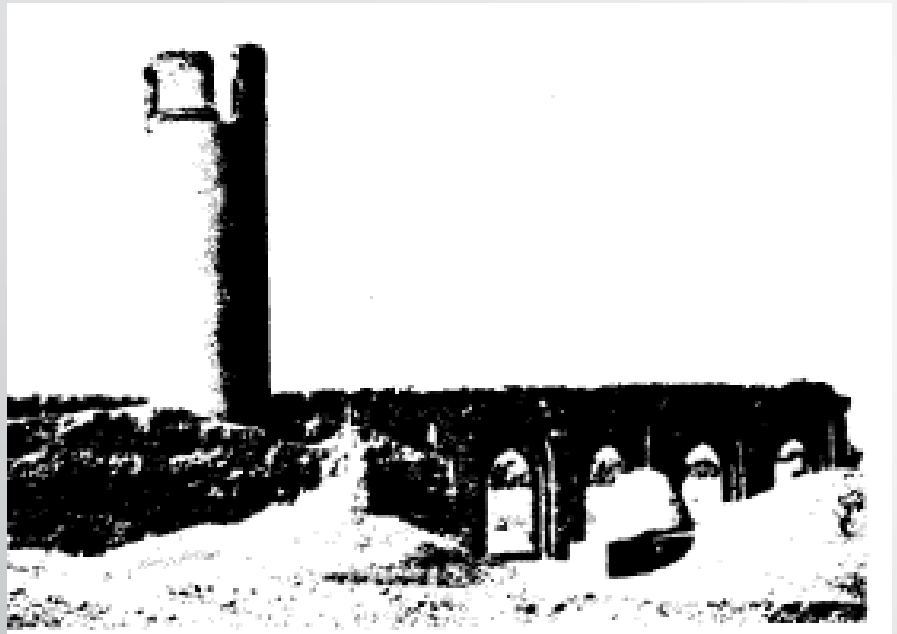

ش : ١٧٦ ــ العراق ، مئذنة جامع الرقة

كريسول

ش : ١٧٧ ــ العراق ، منارة مجفة

هاتين المنارتين لما يزال الكثير منها موجوداً في بقاع متعددة من فارس ، وتنسب إلى العصر السلجوقي وعلى مدى أكثر من قرنين . وكلها تكاد تتفق في التصميم الأسطواني المسلوب أي ذي الجوانب المائلة ، والذي يرتفع في معظم الأمثلة فوق قاعدة قصيرة مربعة المسقط ، كما يشاهد في ذلك البدن المسلوب انتفاخ قليل وهي ظاهرة ابتكرها المعماريون الاغريق لتصحيح خداع النظر الذي يجعل الجوانب المستقيمة تماماً تبدو وكأن بها بعض التقعر إلى الداخل إذا ما عملت مستقيمة فعلاً ، ولمقاومة هذا الخداع فقد لجأوا إلى عمل الجوانب بها ذلك الانتفاخ البرميلي ، ويسمى بالإنجليزية (entasis)[٤٨] . واستخدمه الإغريق لأعمدة عمائرهم . ومما يدعو إلى العجب أن نرى المعماريين المسلمين قد تنبهوا إلى تلك الظاهرة من خداع النظر وحاولوا معالجتها بنفس الطريقة التي اهتدى إليها الاغريق منذ نحو ١٨ قرناً .

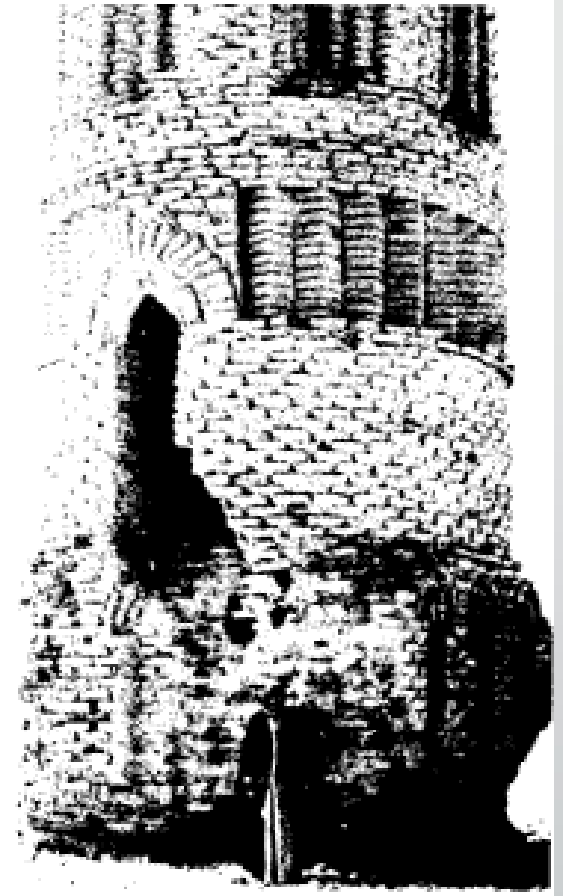

وينتهي البدن كالعادة بصفوف المقرنصات التي تحمل شرفة الأذان ، وفي كثير من الأمثلة توجد أكثر من شرفة للمؤذن . غير أنه نـدر أن توجد القمم العليا فقد سقط أكثرها لما ذكرناه من أسباب تأتي على رأسها هزات الزلازل المخربة . ومن تلك الأمثلة النادرة مئذنة سمنان (ش : ١٨٣) التي تؤرخ في القرن ٥ هـ (١١ م)[٤٩] .

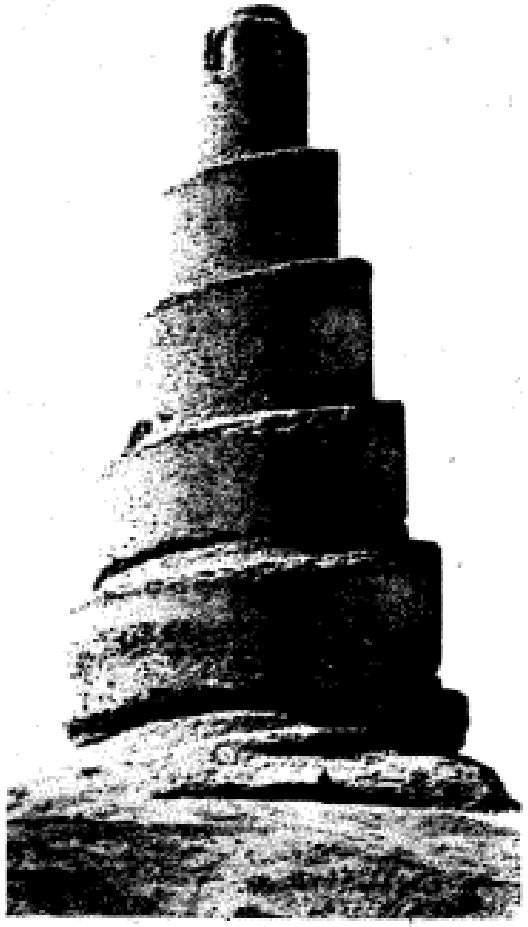

ش : ١٧٨ ــ سامرا ، الملوية

هرتزفلد

وتشترك مئذنة الجامع النوري بالموصل (ش : ١٨١)[*] التي تؤرخ في القرن ٧ هـ (١٣ م) مع المآذن السلجوقية في فارس وآسيا الصغرى في عدة خصائص مثل البدن المستدير ذي الانتفاخ البرميلي ، غير أن هذه المئذنة تتميز بهيئة غريبة ، إذ يبدو أن من كان يقوم ببنائها قد تنبه إلى أن البدن قد بدأ في الخروج عن الوضع الرأسي المضبوط ، ومن ثم فقد عمل على أن يعود به إلى الوضع المعتدل ، مما جعل لها ذلك الشكل الغريب المقوس . وقد احتفظت هذه المئذنة بالطرف العلوي وقمته المكونة من قبيبة تميل إلى الشكل نصف الكروي . وتشبهها في ذلك مئذنة مسجد إربل ، وهما على الرغم من أنهما شيدا في أوائل العصر المغولي إلا أنهما على الأرجح قد تبعا أساليب وتقاليد سابقة من العصر السلجوقي .

وتشترك جميع المآذن السلجوقية في ظاهرة هامة هي أنها قد شيدت كلها تقريباً بالآجر المنتظم في تكوينات زخرفية هندسية ، وقد تتخللها أشرطة من الكتابات الكوفية التي تساعد قوالب الآجر المنتظمة الحافات على رسم تلك الكتابة ذات الزوايا .

غير أن الذي يستلفت النظر حقاً ، أن هذه التكوينات الهندسية التي انتشرت في العصر السلجوقي وثيقة الشبه بنفس الفكرة في أسلوب البناء بالآجر في أبدان مآذن الغرب الإسلامي التي أشرنا إليها وإلى التكوينات الهندسية التي تغطي تلك الأبدان ، وذلك على الرغم من الاختلاف الكبير بين التصميم الأسطواني في الشرق وبين التصميم المتعامد الأضلاع الذي

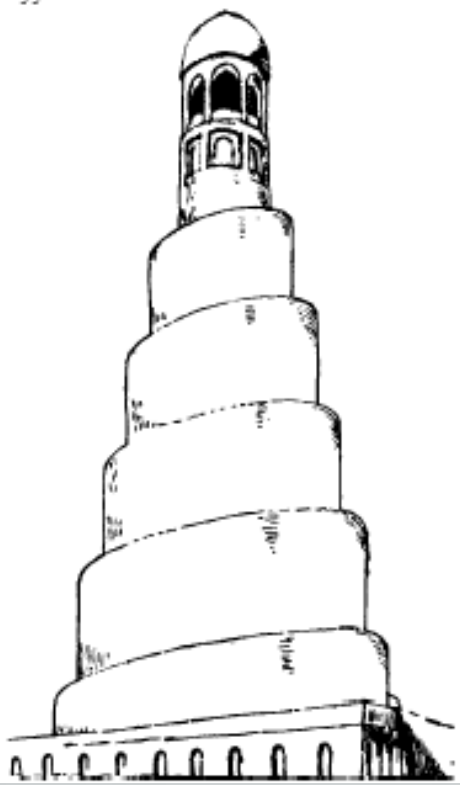

ش : ١٧٩ ــ سامرا ، الملوية

هرتزفلد

ش : ١٨٠ ــ مصر ، مئذنة جامع ابن طولون

شامي

ساد في الغرب الإسلامي . وقد أشرنا إلى أنها إحدى الظواهر التي تتفق فيها مع الغرب الإسلامي وذلك بالإضافة إلى الظاهرتين الأخريين وهي عمل القباب من ضلوع متقاطعة ومتشابكة كما سيأتي شرحها ، ثم الظاهرة الثالثة وهي تغشية الجدران ببلاطات وفسيفساء الخزف ، كما يستلفت نظرنا أن هذه الظواهر الواضحة والتي يتفق فيها الشرق مع الغرب لم تظهر في وسط العالم الإسلامي أي الشام ومصر .

وكانت المساجد في العصر السلجوقي تزود بمئذنة واحدة غالباً ما تكون متصلة بأحد جدران المبنى من الخارج ، أو منفصلة كما حدث في جامع دمغان[٣١] ، كما أن هناك احتمالا بأن فكرة عمل مئذنتين تحفان بكتل المداخل الضخمة أو الإيوانات قد ظهرت منذ أواخر القرن ٦هـ (١٢م) ، كما حدث في جامع أصفهان (ش : ١٠١) ، وهي الفكرة التي انتشرت منذ أواخر القرن ٨هـ (١٤م) في فارس ولها مثال واضح في المسجد الجامع في مدينة يزد (ش : ١٨٤)[٣٢] ، وتسبقها في آسيا الصغرى منارتي مدرسة شيفتي مينارللي[٣٣] .

شامي

ش : ١٨١ ــ العراق ، مئذنة جامع الموصل

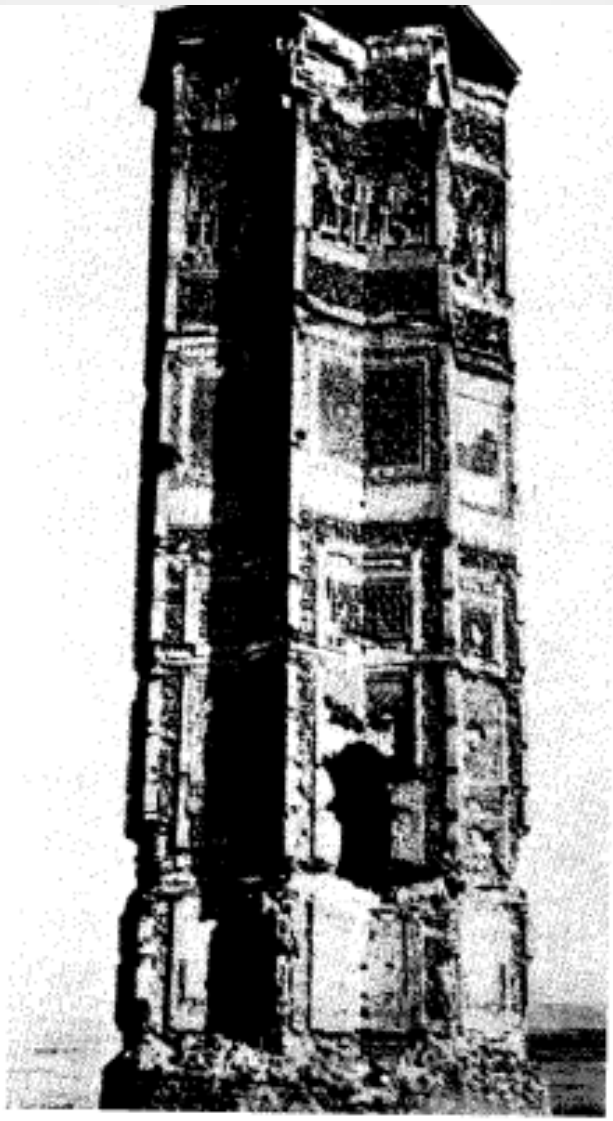

موسوعة الفن الفارسي

ش : ١٨٢ ــ افغانستان ، مئذنة محمود الغزنوي

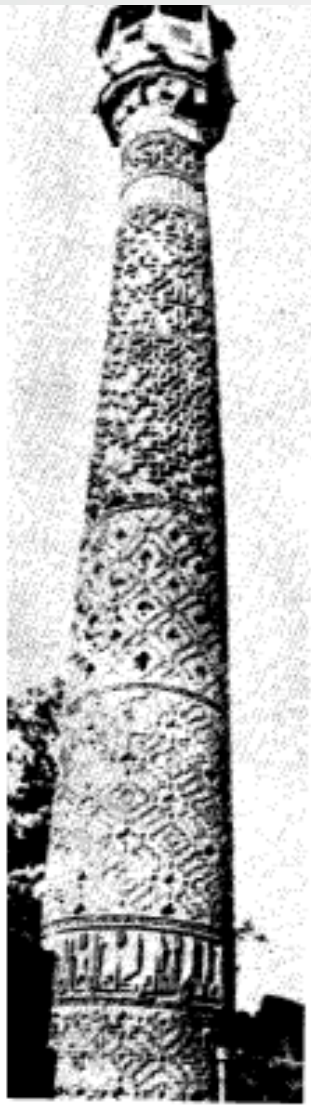

موسوعة الفن الفا

ش : ١٨٣ ــ فارس ، مئذنة س

كما بدأت في الانتشار التكسية بالخزف الملون للجدران والقباب والمآذن في أواخر العصر السلجوقي وظهرت في وضوح كبير في العصر المغولي حتى كادت لا تترك مساحة ظاهرة من المبنى إلا وغشيت بتلك الكسوات الخزفية .

ومن الملاحظ في القبيبات التي تنتهي بها قمم المآذن في العصر السلجوقي ، والتي تندر أمثلتها ، أنها تميل إلى الشكل نصف الكروي ، وأغلب الظن أن الشكل البصلي كان منتشراً في الأمثلة التي اختفت ، وذلك بدليل انتقالها إلى مصر وظهورها في مئذنتي جامع الناصر محمد بن قلاوون في قلعة صلاح الدين بالقاهرة ، وذلك بسبب الهجرات التي حدثت ونزوح أهل البلاد التي هددها إعصار المغول والتجاؤهم إلى منطقة وسط العالم الإسلامي (ش : ١٧٢) . وسنرى ذلك الشكل البصلي وقد انتشر في القباب في شرق العالم الإسلامي في العصرين المغولي والصفوي .

وامتدت حلقات تطور نموذج المآذن الفارسية والعراقية التقليدي على مدى القرون وهو يحتفظ بأغلب ، إن لم يكن بكل مميزاته التي بدأت مع العصر السلجوقي وربما من قبله وحتى العصر الصفوي ، بل وإلى القرن الثامن عشر الميلادي .

تلك المميزات التي تتجلى في استدارة

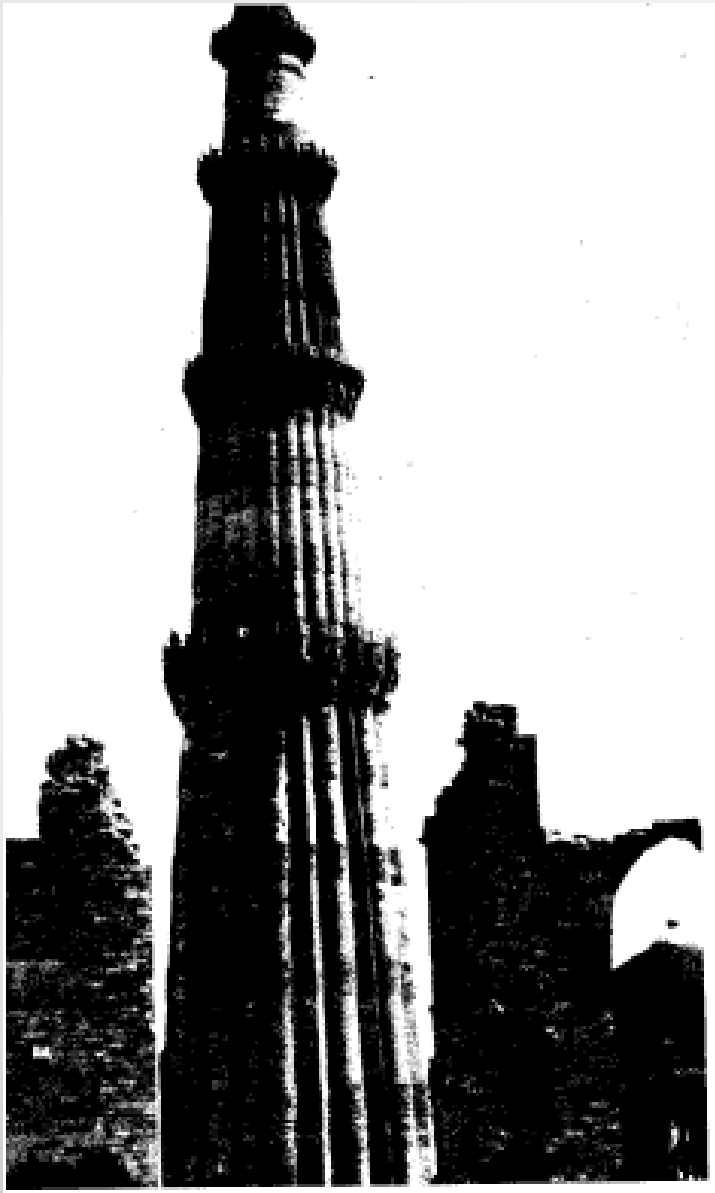

بلنت

ش : ١٨٥ ــ دلهي ، مئذنة قطب منار

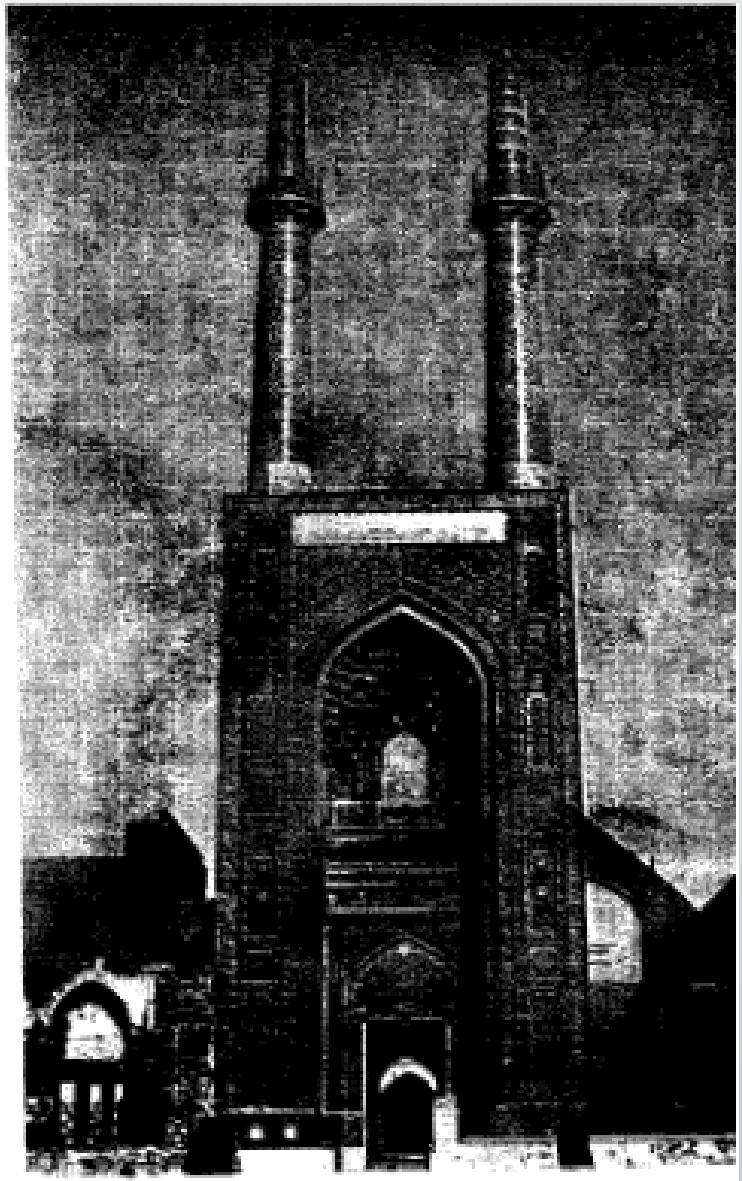

موسوعة الفن المعماري

ش : ١٨٤ ــ فارس ، مئذنتا جامع يزد

البدن ونحافته وارتفاعه الكبير الذي يبدأ من فوق قاعدة تبدو غاية في القصر إذا قورنت بارتفاعه ، والقاعدة أن تكون ذات مسقط مربع أو ذات عدة ضلوع مسطحة أو مستنة أو تلتصق بجانبي مدخل أو إيوان . هذا ويضيق قطر ذلك البدن كلما ارتفع إلى درجة ملحوظة حتى يصل إلى شرفة المؤذن التي عادة ما تحملها صفوف المقرنصات ، وغالباً ما يستمر البدن فوقها إلى ارتفاع آخر تتوجه صفوف أخرى من المقرنصات ، بل قد يأتي بدن رفيع ثالث تغطيه قبيبة غالباً ما تكون على شكل البصلة ، أو بمعنى آخر أن المئذنة كانت تتكون من ذلك البدن العالي النحيف الذي يزداد نحافة كلما ارتفع ، ثم ينقسم إلى قسمين أو أكثر بواسطة حلقات من المقرنصات . ويتميز القسم الأسفل من البدن بأنه أطول تلك الأقسام وأن به انتفاخاً برميلياً ملحوظاً .

وتبعت المآذن في آسيا الصغرى ، في عصر السلاجقة الروم ، التقاليد العراقية والفارسية من حيث استدارة البدن وصفوف المقرنصات التي تحمل شرفات الأذان ، غير أن هناك مثلاً يتميز ببدن أسطواني يكاد لا يوجد بجوانبه أي ميل ، فهو أسطواني تماماً ، وشيدت عليه منارتا مدرسة « شيفتي »[٣١] ، التي بناها علاء الدين قيقباذ في أرضروم في سنة ٦٥٤ هـ (١٢٥٣ م) لابنته خواند خاتون . غير أن منارتي تلك المدرسة قد طاحت رؤوسها العليا من منسوب أول شرفة للأذان واستبدل الجزء الباقي من كل منهما بمخروط أفطس .

* * *

ش : ١٨٦ ــ الشام ، حمام الصرخ ، المثلث الكروي في الحجرة الساخنة

الاعلام الأردني

ش : ١٨٧ ــ العراق ، قبة في قصر الأخيضر

كريسول

ومما يؤسف له ، وكما ذكرنا من قبل ، أن أغلب القمم العليا من المآذن قد تخربت ولم يبق إلا النادر منها ، وكذلك اختفى عدد ليس بالقليل من الجواسق التي كانت تحيط بشرفات المؤذنين لضعف مادة الخشب التي كانت تبنى بها في أغلب الأحيان قوائم وأسقف تلك الجواسق .

وتطورت الزخارف المكونة من قوالب الآجر وتغطي بها أبدان المآذن إلى أن أصبحت تتكون من بلاطات من الخزف المزين بالعناصر النباتية والهندسية والكتابات الكوفية ثم النسخية . وهذا الأسلوب من الكسوات بالبلاطات الخزفية قد أسرف كل من الغرب الإسلامي ، وبخاصة في الأندلس ، وفي العراق وفارس في الشرق الإسلامي في استعماله لتغشية الجدران من الخارج ومن الداخل به ، ثم اقتبسه الأتراك في الأناضول والعثمانيون في عمائرهم المختلفة ، بل وزادوا من الإسراف في استعماله أحياناً . هذا بينما كان الفنانون في مصر والشام يقتصدون في ذلك ، وربما كان السبب قلة وجود مادة الكاولين التي تصنع منها تلك البلاطات ، وكانت من ناحية أخرى سبباً من الأسباب التي جعلتهم يقبلون على الزخارف المحفورة في الجص والحجر ، وهو أسلوب في رأينا قد جعل للعمائر العربية الإسلامية في مصر والشام مظهراً متزناً وقوراً ليس فيه مبالغة أو إسراف في زخرفة أوجه الجدران .

* * *

وكان من الطبيعي أن تتبع مآذن الهند في العصر المغولي التقاليد الفارسية في تصميماتها وزخرفتها ، وكان منها ، على سبيل المثال ، مآذن ضريح تاج محل غير أن هناك مثلاً فريداً في نوعه هو المئذنة الشهيرة باسم « قطب منار » وبقيت من جامع قوة الإسلام في دهلي (ش : ١٨٥)(**) وتؤرخ في سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣ م) ، وهي من أجل المآذن في العالم الإسلامي ، إذ يبلغ ارتفاعها نحو ٧٥ متراً ، ويعود الجزء الأكبر من بدنها إلى بناء المملوك قطب الدين الذي تولى الحكم فترة قصيرة في أواخر القرن ٦ هـ (١٢ م) ، أما الجزء العلوي فقد أعيد بناؤه في القرن ١٠ هـ (١٦ م) .

وتمتاز تلك المئذنة بأنها تكاد تكون الوحيدة التي تتميز بالمبالغة في ميل جوانب بدنها المستدير الذي يضيق كثيراً كلما زاد ارتفاعه ، ولا شك أنه تأثر من جهة أخرى بطرز العمارة الهندية القديمة . ويبدو هذا التأثير واضحاً في الضلوع القوية التي يتكون منها البدن على هيئة حزمة تطوقها إطارات من مداميك مختلفة الألوان كالتقليد المعروف بالأبلق الذي ابتكره العرب المسلمون . ومن المعروف أن هذه المئذنة كانت تؤدي وظيفة الأذان والمراقبة في نفس الوقت مثل الكثير من المنارات والمآذن في أقطار العالم الإسلامي كما سلف القول .

القبة

لا جدال في أن القبة من العناصر المعروفة منذ آلاف السنين ووصلتنا أشكال منه من العصر الأشوري القديم على هيئة رسوم مسجلة على الجدران ، أما أمثلتها التي بقيت قائمة فتعود إلى العصر الروماني الذي انتشرت فيه انتشاراً واسعاً ثم أصبح من العناصر الرئيسية في الطراز البيزنطي ، ثم لعب دوراً بارزاً في العمارة العربية الإسلامية .

غير أن القباب في العصر العربي الإسلامي قد امتازت بظاهرة هامة هي أن معظمها يتميز بقطاع مدبب ، وذلك بفضل ابتكار وانتشار استعمال ذلك النوع من العقد الذي صار علماً من أعلام العمارة العربية الإسلامية .

وتبدأ حلقات سلسلة تطور القبة العربية الإسلامية بأقدم مثل وصل إلينا منها ويوجد في الاستراحة الصحراوية الصغيرة المعروفة بقصير عمره (ش : ٢٤) ، وغطيت بها الحجرة الساخنة فيه ، وهي إحدى وحدات حمام ذلك القصير . غير أن هذا المثل لا يخرج عن أن يكون نموذجاً مبسطاً عادياً للقباب ، ويمكن أن يوجد في أي طراز معماري آخر ، فهي نصف كرة ملساء الوجهين : الداخلي والخارجي ، كما أنه انتشر بعد ذلك في عمائر كثيرة باقية من العصر الأموي ، منها قبة بيت المال في المسجد الأموي بدمشق (ش : ٢٢) ، كما شيدت عليه أغلب قبيبات مآذن الغرب الإسلامي التي سبقت الإشارة إليها .

ثم يأتي مثال آخر في قصير ثان يوجد أيضاً في بادية الأردن ويعرف بحمام الصرخ (ش : ١٨٦)[٣٦] ولكن يتميز هذا المثل بأن الوجه الخارجي للقبة أملس بينما الوجه الداخلي أو باطن القبة يتكون من ضلوع أو قنوات مقعرة متلاصقة تبدأ من الحافة السفلى للقبة والتي تحملها العقود والمثلثات الكروية التي

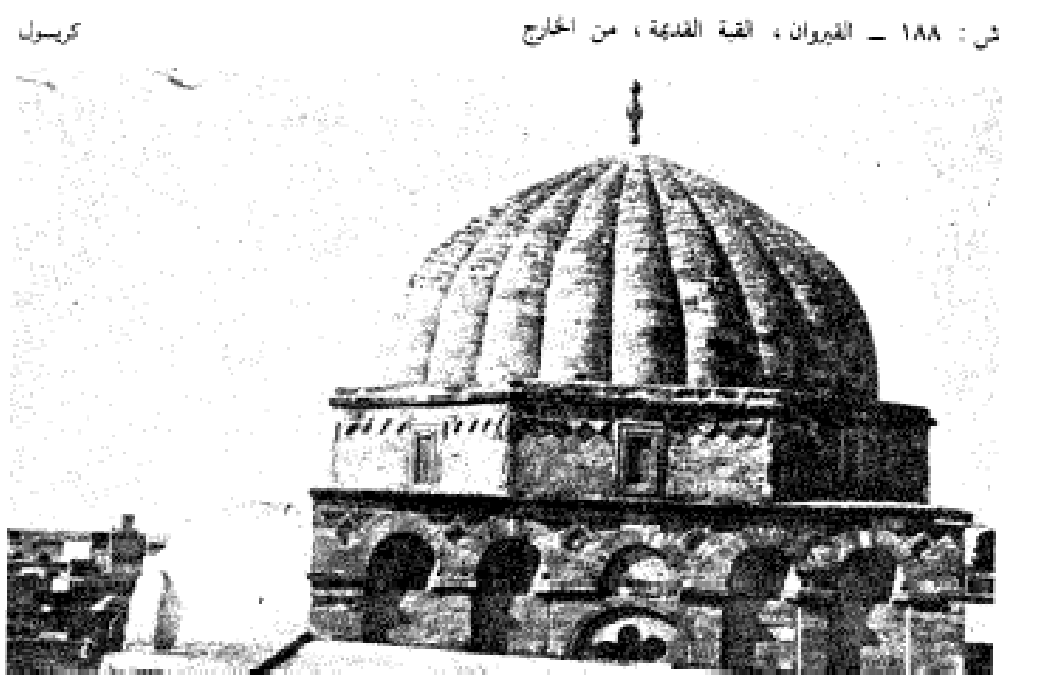

ش : ١٨٨ ــ القيروان ، القبة القديمة ، من الخارج كريسول

ابتكرها الشاميون العرب منذ حوالي القرن الثاني الميلادي . وتعد قبة حمام الصرخ هذه أقدم مثل للقباب ذات الضلوع في العمارة العربية الإسلامية ، ويليها المثل الثاني في قصر الأخيضر (ش : ١٨٧)[٤٣] . ثم يأتي المثل التالي في التاريخ من القيروان ، وهو القبة التي غطيت بها المنطقة المربعة أمام المحراب في المسجد الجامع (ش : ١٨٨) ، وتؤرخ في نحو سنة ٢٤٨ هـ (٨٦٣ م)[٤٤] .

وتتميز هذه القباب بخاصتين هامتين : أولاهما أنها تعد أقدم القباب من ذات القطاع المدبب الذي أشرنا إلى أنه قد صار من أهم أعلام العناصر المعمارية الإسلامية ، والذي شيدت عليه الفتحات والعقود والأقبية والقباب في شرق العالم العربي الإسلامي ثم انتقل إلى أوروبا عن طريق العائدين سالمين من جيوش الصليبيين إلى بلادهم . وكان لذلك العنصر ، إلى جانب عناصر عربية إسلامية أخرى ، الفضل في بلورة عدد من تقاليد العمارة في العصور الوسطى الأوروبية من رومانسكية وقوطية في أنحاء أوروبا كلها .

والخاصية الثانية أن ذلك الشكل المدبب قد أصبح هو السائد في شرق العالم الإسلامي للقباب حتى تندر أو لا يكاد يوجد غيره في تلك

ش : ١٨٩ ــ القيروان ، القبة القديمة ، من الداخل

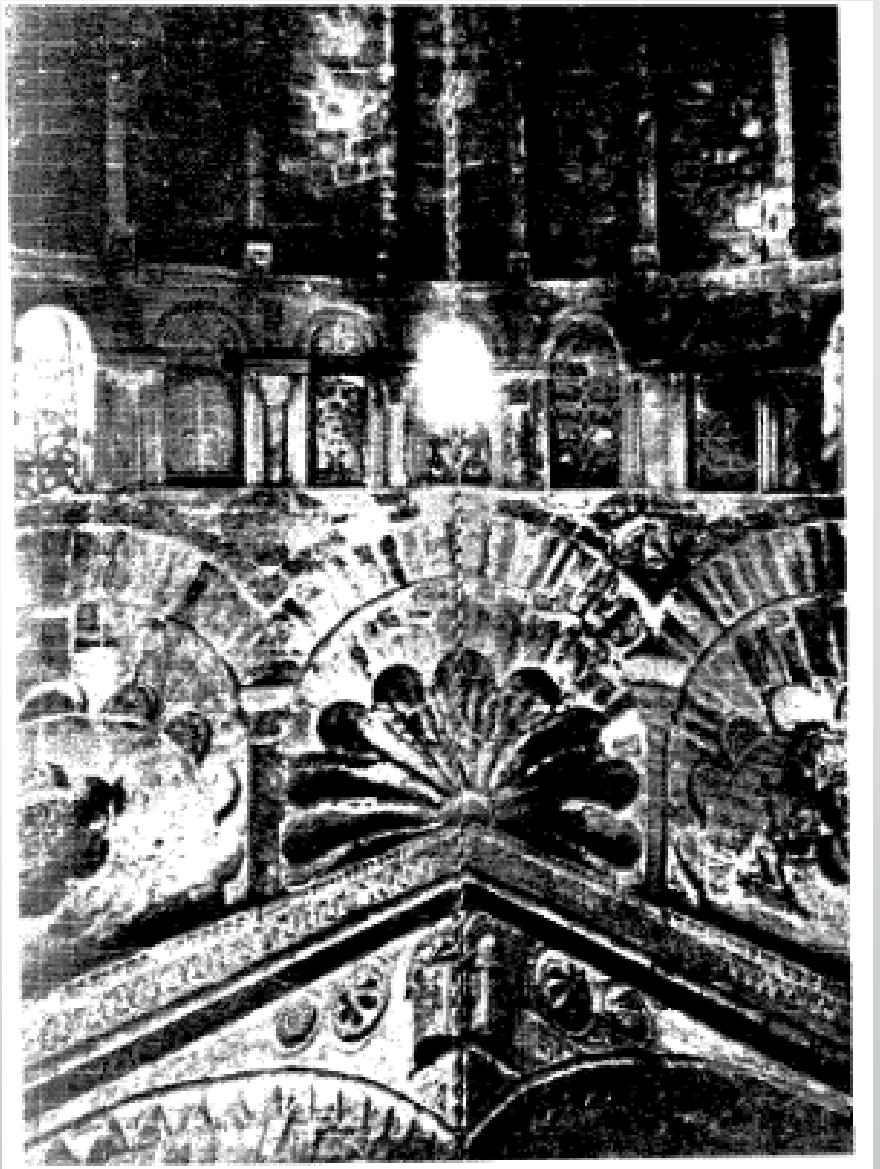

مارسيه

ش : ١٩٠ ـ قرطبة ، القبة الأصلية — جومث ـ مورينو

المنطقة ، مهما كان شكل القبة نفسها ، أي سواء كانت تتكون من قوسين فقط يبدءآن من سطح المبنى أو من رقبة القبة أو قاعدتها التي تعلو سطح المبنى ، ويلتقيان عند نقطة القمة ، أو كان ذلكما القوسان يرتفعان في معظم الأحيان ، من خطين رأسيين هما محيط جزء أسطواني يزيد من ارتفاع القبة (ش : ١٨٨) ، وتتكون القبة في هذه الحالة من جزء أسطواني يعلوه جزء كروي مدبب ، أما إذا كان ذلك القطاع من نموذج حدوة الفرس فإنه يجعل للقبة شكلاً بصلياً (ش : ٢١٥) .

كما تمتاز القبة في جامع القيروان من حيث تكوينها من ضلوع محدبة من الخارج (ش : ١٨٨) ومقعرة من الداخل (ش : ١٨٩) ، وهو نفس النمط الذي شيدت عليه أيضاً قبة المربع أمام المحراب في جامع تونس المعروف بجامع الزيتونة المشيد في سنة ٢٥٠ هـ (٨٦٤ م)[٤٩] .

وقد انتشر هذا النموذج من القباب ذات الضلوع المحدبة من الخارج والمقعرة من الداخل في النصف الثاني من العصر الفاطمي في مصر وبخاصة فوق الأضرحة التي كثر بناؤها في تلك الفترة سواء في القاهرة أو في الصعيد الأقصى من الأقصر إلى أسوان[٥٠] ، بينما كانت توضع في المساجد فوق المربع أمام المحاريب ، ومنها ما يوجد في جامع الحاكم بأمر الله (ش : ٧٨ و٧٩) وأغلب الظن أن الجامع الأزهر كانت به قبة مماثلة لما في جامع الحاكم وكذلك في ركني ظلة القبلة في كل من المسجدين (ش : ٧٤ و٧٨) .

وبانتشار بناء المدارس ذات الإيوانات أي بانتشار التخطيط السني الذي أشرنا إليه في

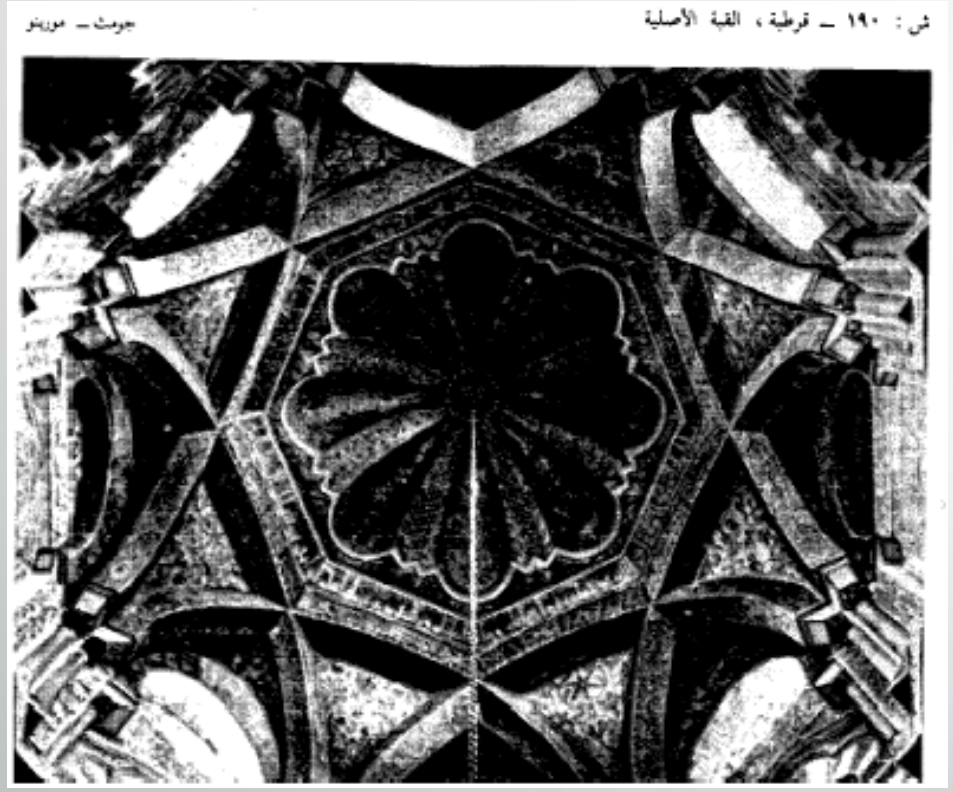

صفحات سابقة (ص : ١٠٥ ـ ١٣٧) فقد ظهر معه تقليد جديد هو بناء ضريح يغطى بقبة لصاحب المدرسة أو الجامع أو الخانقاه، وتعددت أمثلة ذلك في أيام السلاجقة والأتابكة والأيوبيين. وكان مخصص للضريح ركن من أركان المبنى، وغالباً ما يكون قريباً من المدخل الرئيسي، ومن أمثلة ذلك ضريح نور الدين بن زنكي في مدرسته بدمشق (ش : ١٠٦)، وفي مدرسة الصالح نجم الدين أيوب بالقاهرة (ش : ١٠٧) المؤرخة في سنة ٦٤٨هـ (١٢٤٩م)، ومدرسة الناصر محمد بن قلاوون بالنحاسين (ش : ١٠٨)، وتؤرخ في ٧٠٣هـ (١٣٠٤م)، إلى غير ذلك من الأمثلة التي أشرنا إليها من قبل.

وقبل المضي في تتبع أشكال القباب المدببة وتطوراتها نجد من الجدير أن ننوه بنموذج من القباب يعد بدعة من البدع المعمارية ذات الطابع والطلاوة الخاصين، وذلك من الناحية المعمارية والإنشائية والتي ابتدعها المعماريون العرب المسلمون، وكان لها أثر خطير في تطور التغطيات في العصور الوسطى الأوروبية.

وتوجد أقدم حلقة من حلقات ذلك الابتكار في المسجد الجامع بقرطبة حيث غطيت بها المساحة المربعة التي تتقدم آخر محراب جعل لذلك المسجد (ش : ١٩٠)[٦١] وفي آخر مرحلة من مراحل التوسيع والتجديد التي توالت على ذلك المسجد منذ إنشائه حتى سنة ٣٥٤هـ (١٠٥٥م) كما سلف ذكره. وقلنا إن هذا النموذج المبتكر يتكون من قشرتين، الخارجية منهما جمالون هرمي الشكل مغطى بالقرميد ويتفق مع الجمالونات التي تغطي أروقة المسجد (ش : ٥٨)، أما الداخلية فقد شيدت من أقواس أو ضلوع رفيعة من الحجر ترتفع من فوق الحافة العليا للمنطقة المربعة أو لمنطقة الانتقال التي وضعت بها الحنيات الركنية، وكان من نتيجة تقاطع تلك العقود أو «القنانات» كما تسمى في الاصطلاح المعماري الدارج أن ظهرت قبة شبه مفرغة بحشوات موزعة في تكوينات هندسية غاية في الروعة (ش : ١٩٠)، ثم تأتي في قمة تلاقي تلك القنانات قبيبة ذات قنوات إشعاعية مقعرة.

وكانت تلك البدعة القرطبية بداية سلسلة طويلة من أمثلة القباب من ذلك النموذج في الأندلس في العصر العربي الإسلامي، ثم من بعد انحسار نفوذ العرب من تلك البلاد وخروجهم منها وبعد أن تركوا أمثلة وفيرة العدد هناك.

كما توجد أمثلة أخرى في شمال إفريقية، منها ما يوجد في جامع مدينة تلمسان في المغرب الأوسط أو الجزائر الآن (ش : ١٩١ و١٩٢)[٦٢]، وقد ملئت الحشوات بين تلك القنانات بالشمسيات أو الألواح المفرغة بالزخارف والتي تملأ فراغاتها بالزجاج الملون كما سبق شرحه، وكما أشرنا إلى أنه صاحب الفضل في الإيحاء للفنانين الأوروبيين بأسلوب الزجاج المعشق بضلوع الرصاص الرفيعة.

كما يوجد مثال آخر بلغ غايته في النضج في جامع تازة (ش : ١٩٣)[٦٣]، ويؤرخ في سنة ٦٩٣هـ (١٢٩٣م).

وتتعدد أمثلة القباب المشيدة بالقنانات

المتقاطعة في الأندلس[64] وفي عدة أقطار أوروبية أخرى في العصور الوسطى وفي عصر النهضة (ش : ١٩٦[65] و١٩٧[66]) ، بل ووصلت في أحد الأمثلة إلى ذروة من التطور حيث نتج من تلك القنانات المتقاطعة والمتشابكة ما يشبه خلية كثيفة من القصاع (Coffers) أو الحشوات الغائرة (ش : ٢٣٣) .

ومما لا شك فيه ، أن خطر ابتكار هذه الفكرة المعمارية والإنشائية لم يقتصر على الإيحاء بعمل تلك القباب فحسب بل امتد إلى الإيحاء أيضاً باتباع أسلوب يشتق عنها لتغطية أقبية الأروقة العريضة التي تتوسط الكنائس ذات المسقط البازيليكي ، بأن تقسم تلك الأقبية إلى مساحات ومناطق بواسطة تلك القنانات ، ثم يملأ ما بينها ببلاطات من الأحجار ، وأخرج بذلك منها الفنانون في تلك العصور الأوروبية تكوينات هندسية رائعة (ش : ١٩٨[67] و١٩٩[68]) وامتدت مراحلها وانتشرت منذ العصر الرومانسكي ، وزاد انتشارها وازدهارها في العصر القوطي ، وأدت إلى ظهور أشكال تعد من أجمل التحف وأبدع ما أخرجه الفنانون

والمعماريون ، بل ومنها أمثلة تعد من قمم الإنتاج الفني في العصر القوطي وبخاصة في انجلترا ، ومنها سقف كنيسة الملك هنري السابع في كتدرائية وستمنستر في لندن (ش : ٢٠٠)[69] وفي غيرها ، فلقد استخدمت تلك القنانات النحيفة الرشيقة في تشابكات وتقاطعات وتكوينات مروحية وكروية وعلى هيئة أقماع مقلوبة مدلاة من السقف تنتزع الإعجاب عن جدارة . وهو أسلوب جعل له مكانة في تلك البلاد بوجه خاص ولفترة ليست بالقصيرة . وكل ذلك بفضل الخصوبة الفنية التي تمتع بها خيال المعماريين العرب المسلمين في قرطبة وفي غيرها من البلاد العربية الإسلامية . ولكن مما يدعو للدهشة أن تلك الفكرة لم يقتصر مجالها على الأندلس وشمال إفريقية وحسب بل ظهرت مثيلة لها في العصر السلجوقي في العراق وفارس ، وبقيت منها أمثلة كثيرة لا تقل روعة ، وتوجد تلك الأمثلة في عدة مساجد بقيت من العصر السلجوقي في المنطقة الشرقية من العالم العربي الإسلامي ، أتينا منها ببضعة أمثلة من جامع اصفهان

ش : ١٩٢ ـ تلمسان ، قبة المسجد الجامع
مارسيه

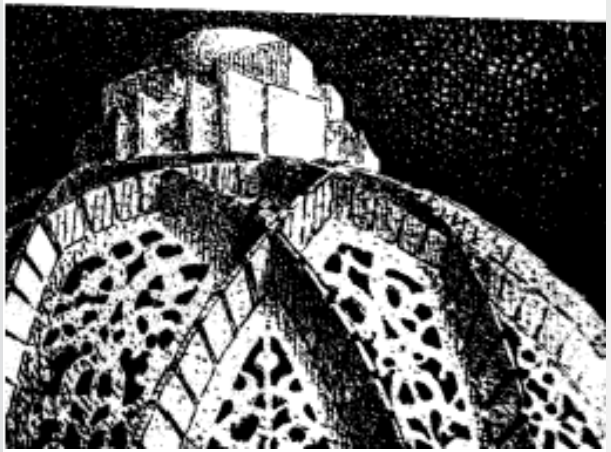

ش : ١٩١ ـ تلمسان ، قبة المسجد الجامع
مارسيه

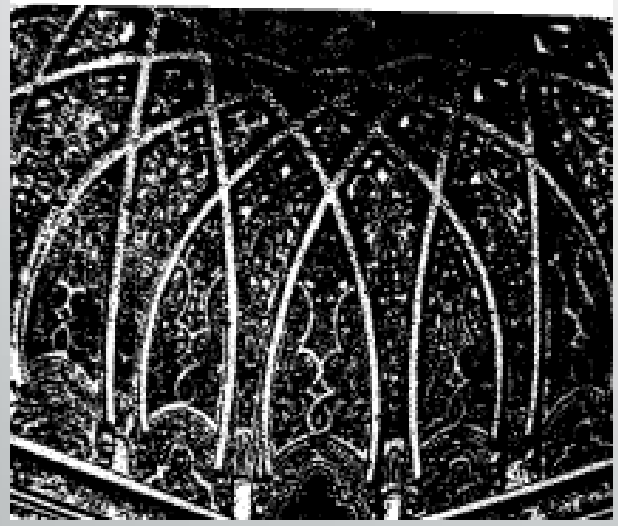

(ش : ٢٠١ ـ ٢٠٤)[٧٠] ، غير أن الضلوع أو القنانات قد شيدت بالآجر بدلا من الحجر ، كما شيدت به الحشوات الهندسية التي تملأ الفراغات بينها ، ونظمت القوالب فيها بأسلوب زخرفي زاد من طلاوتها وجعل لها شخصية واضحة على الرغم من تشابه فكرتها مع تلك التي رأيناها في الغرب الإسلامي ، غير أنه لم تتح الفرصة لتلك الفكرة في الشرق الإسلامي أن تنمو وتتطور وتزدهر كما حدث في المغرب ، ولعل ذلك راجع إلى أن القباب التي شيدت على ذلك التصميم المبتكر كانت تغطي مناطق صغيرة متلاصقة ويغلب عليها العتمة وعدم الوضوح الكافي لكي تحظ باجتذاب الأنظار بالدرجة التي سنحت لها في الغرب .

ومهما يكن من أمر ، فإن ظهور هذا النوع وغيره من الابتكارات وتوافق الأفكار التي مرت بنا من قبل والتي سنرى بعضاً منها فيما بعد لدليل قاطع على وحدة في التفكير وعلى التقارب الكبير بين الأحاسيس الفنية ، والحضارية بطبيعة الحال ، بين المسلمين مهما بعدت الشقة أو تباعدت أو تفككت العلاقات السياسية بينهم ، وهو دليل نضيفه إلى ما سبق من أدلة على تأكيد ذلك المعنى .

غير أن هناك عدة ملاحظات جديرة

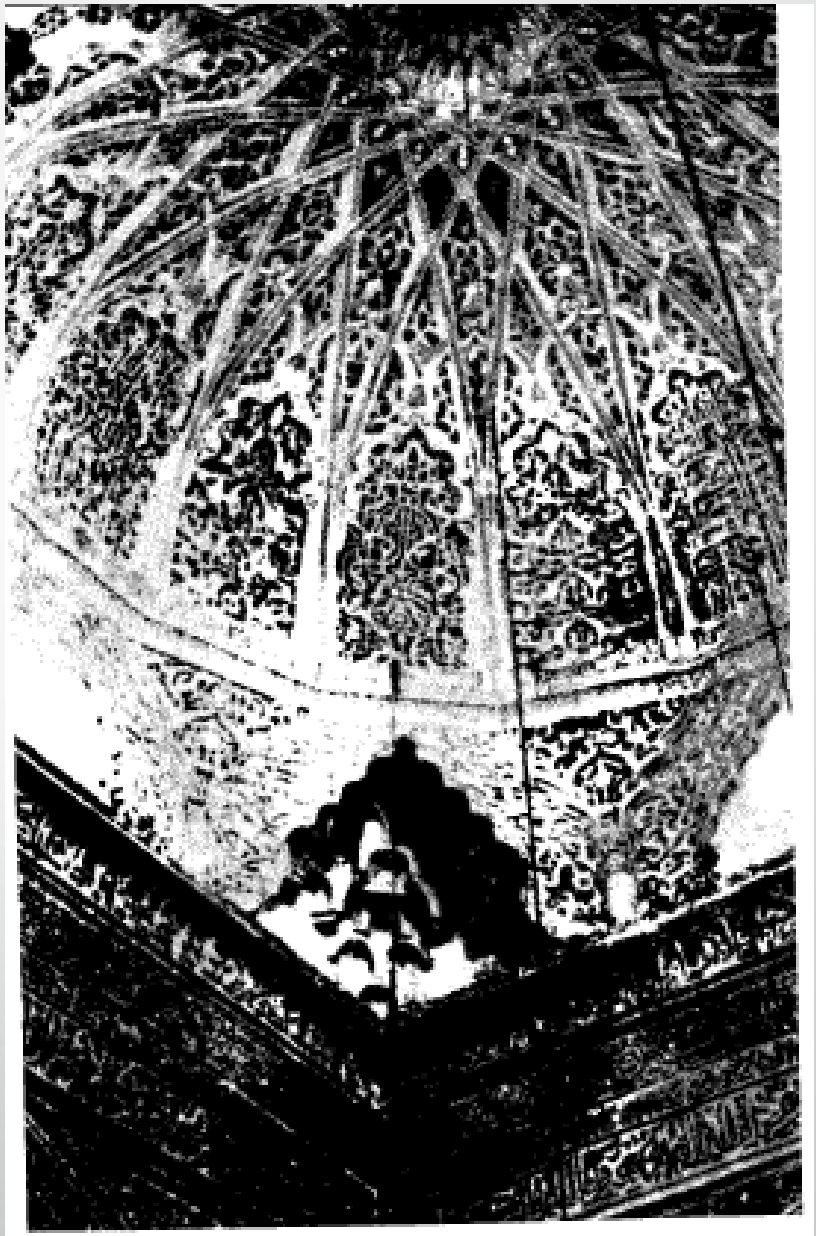

ش : ١٩٣ ـ تازة ، قبة المسجد الجامع — مارسيه

بالذكر بصدد هذه الفكرة : أولها أنها قد استخدمت كما قلنا لمناطق تميل إلى صغر الحجم نسبياً ، وثانيتها أن جمالها وروعتها لم تكن تتضح للعيان إلا من داخل البناء فحسب ، ولا تتضح أهمية لها من خارج المبنى ، اللهم إلا لتبدو على هيئة قبيبات أو حشوات أو قنانات إذا ما قدر لها أن تظهر ، وأحياناً كان يبين منها فوق السطح ما يشبه الفانوس (ش : ٢٠١ و٢٠٣ و٢٠٤) أي ما يسمى skylight or lantern .

ومن الملاحظات الهامة أيضاً ، أن ذلك الاتفاق في تلك الفكرة بين الشرق والغرب الإسلاميين لم يشترك فيه أقطار المنطقة الوسطى من ذلك العالم والتي تشمل الشام ومصر بل وبلاد الأناضول التي كانت تتبع تلك المنطقة الوسطى جغرافياً ولكنها أكثر اتصالا بمنطقة الشرق فنياً وحضارياً .

هذا ومن جهة أخرى ، فقد كانت مصر ، على وجه الخصوص ، على أوثق الصلات بالغرب الإسلامي ، فما كان أهل المغرب يصلون إلى الأماكن المقدسة إلا عن طريق مصر براً وبحراً وعلى ضفاف النيل وباختراق صحراواتها بدروبها المعروفة ، وقد حدث فعلا كما ذكرنا من قبل أن اتضحت تأثيرات مغربية أندلسية على العمارة والفنون في مصر (ش : ١٢٠ و١٢١ ، ص : ١٠٢ و١٠٣) ، بل إن رذاذاً من تلك التأثيرات قد وصلت إلى الشام أيضاً في مناطق متفرقة منها مثل دمشق وحلب وتتضح في عدد من العناصر والتكوينات .

كما أننا لا نميل إلى الاعتقاد بأن اتفاق الشرق الأقصى الإسلامي والغرب الأقصى منه كان وليد الصدفة لتلك الظاهرة ، بل إنه من المرجح لدينا أنه قد جاء نتيجة لانتقال عدد من الفنانين المغاربة إلى الحجاز لأداء فريضة العمرة

ش : ١٩٤ ـ مراكش ، قبة ميضأة المرابطين — مارسيه

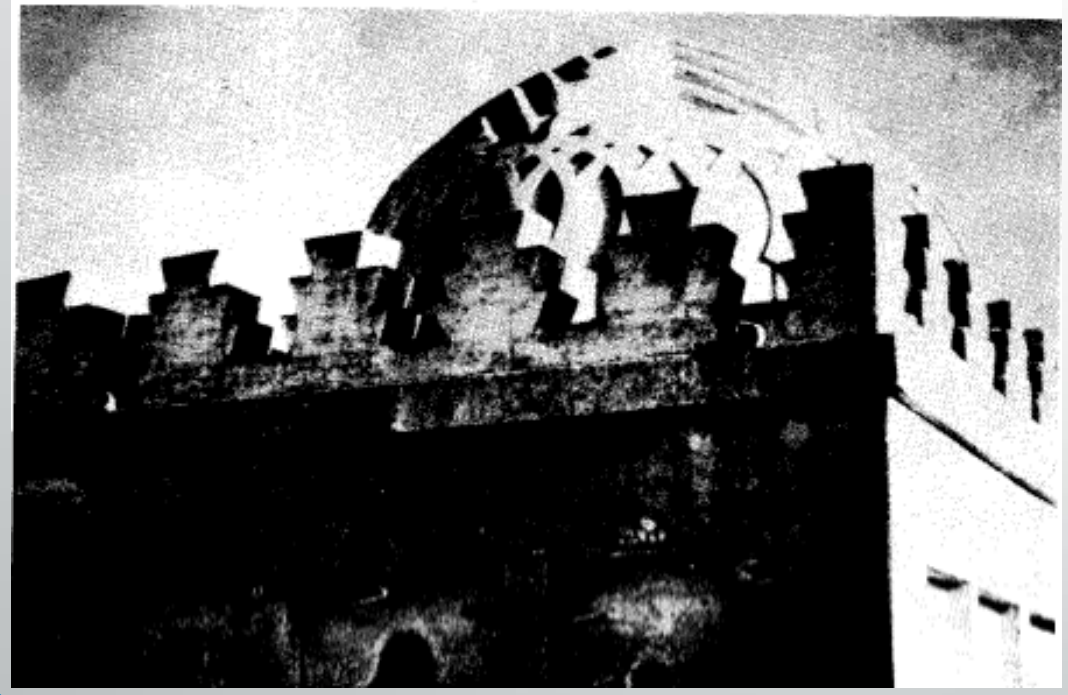

والحج ثم وجدوا فرصة أو تشجيعاً للعمل بالعراق وفارس ، فانتقلوا إليها ومعهم تلك الفكرة وغيرها التي لم تتضح بما فيه الكفاية . ومما يعزز هذا التعليل أن الأمثلة التي ظهرت في العصر السلجوقي تأتي متأخرة في التاريخ بنحو أكثر من قرن عن الوقت الذي ظهرت فيه في قرطبة ، ولعل هذه الفترة الزمنية قد هيأت أذهان المعماريين والحرفيين لتقبل أسلوب بناء القباب بواسطة الضلوع أو القنانات ولكن في قالب يتفق مع المواد المحلية وطرق البناء التقليدية هناك . كما أن تلك الطرق المحلية قد أغنت عن عمل المقرنصات الركنية التي كانت تستخدم في الغرب الإسلامي وفي المواضع القريبة منه والتي تأثرت بتلك الفكرة .

ومن الملاحظ ، بوجه عام ، أن القباب العادية كانت قليلة الانتشار في الغرب الإسلامي منذ العصور المبكرة حتى العصر العثماني ، وكان معظمها يوضع فوق المربع الذي يتقدم المحراب كما كان الحال في جامع القيروان (ش : ٥٣ و١٨٨) ، وجامع تنمل[٧٦] وجامع تلمسان[٧٧] وجامع المنصورة في تلك المدينة[٧٨] ، إلى غير ذلك من الأمثلة . وفي أحيان قليلة كانت تغطي ضريحاً ومنها ضريح سيدي بومدين بجوار المسجد الملاصق له في مدينة تلمسان[٧٩] ، وكان يوضع بعضها فوق أبراج ركنية كما في جامع سوسة (ش : ٥٧) ، أو فوق مداخل رئيسية في المساجد مثل جامع القيروان[٨٠] ، ومنها ما يغطي ميضأة تنسب إلى عصر المرابطين بمراكش (ش : ١٩٤ و١٩٥)[٨١] وتؤرخ في حوالي سنة ٥١٠ هـ (١١١٥ م) ، وهي تتميز بزخارف على سطحها تتكون من قنانات على هيئة عقود متشابكة ومتقاطعة ومثلها من الداخل .

ش : ١٩٥ ــ مراكش ، قبة ميضأة المرابطين ، من الداخل

مدرسة

شريحة

ش : ١٩٦ ـ ايطاليا ، كنيسة سان لورنزو

ولا يمكن أن يقاس إذن هذا العدد الضئيل نسبياً بالأعداد الضخمة التي وصلتنا من العصور المختلفة في الشرقين الأوسط والأقصى الإسلاميين ، والتي تطورت فيها القباب وأشكالها وطرق بنائها وأساليب زخرفتها حتى وصلت إلى آفاق بعيدة من التطور والنضج ، وحتى أصبحت من أهم أعلام العمارة العربية الإسلامية فيها .

* * *

أما في مصر والشام ، فقد سارت حلقات تطور القباب في طريقها الطبيعي . غير أن هناك فجوة زمنية لا تتصل فيها حلقات ذلك التطور ببعضها ، وذلك من نهاية العصر الأموي حتى الفتح الفاطمي لمصر . ولكن يمكن وصل بعضها بواسطة أمثلة من قباب أضرحة في أسوان حيث أمكننا أن نؤرخ بعضاً مما كان يُظن أنه يؤرخ في العصر الفاطمي وأرجعناه إلى العصر العباسي ، وذلك على أساس تحليل

معماري فحسب[٣٣] . ومن الغريب أن بعض أمثلة القباب هذه بها من الخصائص ما يمت بصلة شبه كبيرة أحياناً وقليلة أحياناً أخرى بشبيهات لها في قبة جامع القيروان ، ومنها الأوجه المقعرة لجوانب قواعد قباب تلك الأضرحة ، باستثناء ندرة منها (ش : ٢٠٥ و٢٠٦) ، كما تختص رقاب قباب أضرحة أسوان ، بالإضافة إلى تقعر أوجهها ، بأن أطرافها العليا تتقابل في حافات وتبرز على هيئة تشبه القرون ، وهي ظاهرة لا توجد في أي من الطرز المعمارية السابقة واللاحقة بالطراز العربي الإسلامي ، بل إنها لا توجد في أي من مدارس هذا الطراز ولا في أي من عصوره .

ش : ١٩٧ ـ ايطاليا ، كنيسة سان سبلكروق نفارو

شـكرا لحسـن المتابعة والاصغاء